الفصل السابع

أوجه من التناقض في آراء المستشرقين القدامى والمعاصرين بشأن الإسلام والسيرة النبوية

يثير عنوان البحث إشكاليّة فقد يجده القارىء الكريم تناقضاً وتداخلاً بين ما يتعلق بنحو أو بآخر بتعبير الإستشراق القديم والإستشراق المعاصر. فما الحدود الزمانية، إن كان ثمّة تحديد زماني للقديم والمعاصر؟. فضلاً عن الحدود الجغرافية أو المكانية التي يتوزع عليها الإستشراقان في الغرب؟ أو أنه استعمال مطلق فحسب؟. ولعل الجواب على مثل هذه الإشكاليّة في المصطلح ليس سهلاً أو ميسوراً، ومردّ ذلك إلى التداخل في آراء المستشرقين وتفسيراتهم تبعاً لإتجاهاتهم أو لانتماءاتهم الفكرية والسياسية والدينية، بين مستشرق علماني ومستشرق مبشّر وبين مستشرق دبلوماسي ينتمي إلى مؤسسة إستخباراتية ومستشرق يبحث عن الحقيقة وله ولع واهتمام بتراث الشرق العربي الإسلامي. بمعنى أن هناك مستشرقا من القرن التاسع عشر ربما يقف في تفسيراته موقفاً معتدلاً من بعض المفاصل المثيرة من تاريخنا العربي الإسلامي أو بالأحرى من المسائل التي وجد أو اتفق المستشرقون على أنها مثيرة للتساؤل أو التفسير أو ابداء الرأي فيها إيجاباً أو ضدّاً وأكثر واقعية وعلمية من مستشرق معاصر والعكس صحيح تماما.التعبير القديم والمعاصر يراد به زمان يتعلق بنا، بزماننا نحن في القرن الحادي والعشرين. فالدراسات التي تمّت قبل القرنين العشرين وقرننا الحالي تظهر آراءا وتفسيرات تنتمي إلى الإستشراق التقليدي القديم، إما التي تعاصرنا فهي تظهر آراء المستشرقين المعاصرين. فضلاً عن ذلك فهذا المفهوم ينسحب أيضاً الى الحدود المكانية للإستشراق أيضا إذ كانت المدارس التقليدية كالهولندية والبلجيكية والسوفيتية والبريطانية والفرنسية والألمانية قد أعطت بفاعلية عطاءات مهمة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد. فنجد على سبيل المثال الإستشراق الأمريكي والإستشراق الإسرائيلي يسعى بفاعلية أكثر إلى الإنتفاع من النتائج - في أغلب الأحوال المعادية منها - التي حقّقها الجيل الأول من المستشرقين وفي انتقاء ما هو نافع ويحقّق الأهداف والمصالح في القضايا السياسية والإجتماعية بل حتى الدينية تلك التي يبحثون عن مرتكّزات لها أو عن مسوّغات للتمسك بها والدفاع عنها. فمواقف المستشرقين في كلتا الرقعتين غير متوازنة مع بعضها البعض وهي كذلك غير

متماهية داخل حدود الرقعة الواحدة أو فيما بينهما. بمعنى أننا على سبيل المثال أمام نتاج فكري ضخم من اهتمامات المستشرقين أو حتى المهتمين بدراسات الشرق المختلفة الميادين ـ وليس بالضرورة أن تكون دراسات تاريخية أو إسلامية ـ تلك التي تعنى في امريكا بالحركات الإسلامية المعاصرة أو بالأصولية وبعلاقة الإسلام بالتحديث والديمقراطية وبعلاقة الإسلام بالأحداث السياسية التي سميت بعد أحداث ١١ أيلول / ٢٠٠١ بالإسلام والإرهاب. في مقابل ذلك توجّه الإستشراق في إسرائيل أيضاً إلى إعلان القطيعة مع المستشرقين اليهود من الجيل الأول أمثال هيملج هاين Heimlich Hein وأبراهام جيجر Abraham Geiger وغوستاف فايل Gustaf wiel وفرانز روزنثال Franz Rosenthal وأغناس جولد تسيهر Ignaz Goldziher. فيشير الأستاذ محمد شهيد علم في تعقيبه على كتاب الأستاذ لويس (ما الذي جرى خطأ..)

What went wrong? Westem Impact and Middle Eastern response.

المطبوع في أكسفورد عام ٢٠٠٢ إلى وجود فئتين من المستشرقين في أمريكا، الأولى تلك التي تلقي ضوءاً من المعادة ضدّ الإسلام، أما الفئة الأخرى أو كما اصطلح عليه (المعسكر Camp) فهو الذي يخضع الآن لقيادة اليهود في الغالب. فالمستشرقون الصهاينة الآن يجهدون أنفسهم في البحث والمتابعة لتصوير الإسلام والمجتمعات الإسلامية على أنها معاديّة للغرب والتحديث والديمقراطية والتسامح والتقدم العلمي وحقوق المرأة. ويعدّ الأستاذ شهيد برنارد لويس على رأس هذا المعسكر لمدة ثلاثين سنة تقريباً[(١)].

فالمستشرق برنارد لويس (اليهودي الأصل والبريطاني الجنسية والأمريكي بعد رحيله من بريطانيا إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٤) مستشرق معروف جداً ولعلنا لا نغالي القول بأنه يمثل آخر من تبقّى من المستشرق من الجيل الأول وقد نعتته عدد من الصحف الأمريكية أمثال New York Times و The National Review و Newsweek بعدّة صفات مدح وأطراء منها :-

١- عميد دراسات الشرق أوسطية. The dean of M.E.studies.

---

(1) See, Lewis, B. "The Roots of Muslim Rage" in The Atlantic Monthly, Sept, 1990.Shereen Hunter, The future of Islam and the west (CSIS Washington 1998) p. 2-3.

٢- شيخ (أو أب) الدراسات الإسلامية .The father Islamic studies

٣- حكيم العصر a sage for the age[1].

وله مؤلفات كثيرة عن ميادين من التاريخ الإسلامي، فبدأ حياته العلمية بدراسة قيّمة لأشهر الحركات الباطنية وهي الاسماعيلية ثم انتقل لدراسة موضوعات أخرى، وكتب دراسات وبحوثاً متنوعة ما زال لحد الآن يعتمد عليها في الدراسات العربية والإسلامية التاريخية والفكرية المعاصرة وهو ما يزال وافر الإنتاج مع أنه حوّل اهتماماته إلى الدراسات التركية الحديثة والمعاصرة وأصدر كتباً مهمة في هذا الإتجاه.

إذن فالأستاذ لويس مستشرق تنطبق عليه مواصفات المعاصرة، أو الجمع بين خصائص الإستشراق القديم والمعاصر، وقد وقف في بعض مؤلفاته موقفاً ناقداً لطروحات المستشرقين من الجيل الذي سبقه في عدّة أتجاهات وتفسيرات.

الذي يهمنا عن المستشرق لويس أنه عند انتقاله إلى الولايات المتحدة ليعمل في جامعة برنستون عاود ثانية متابعة إختصاصه الدقيق في العصور الإسلامية الوسيطة ولكن بنزعة جديدة وباتجاه تاريخي وسياسي جديد متأثرا بالظروف السياسية والمتغيرات السياسية السريعة في أمريكا بما يتعلق بالشرق الأوسط ولا سيما منذ انهيار الشيوعية. والمقصود بذلك أنه عاود الاعتماد على معلوماته الغزيرة عن الإسلام عقيدة وفكراً وتاريخاً بهدف أدلجة الموقف السياسي إزاء العرب والمجتمعات العربية بصورة عامة والعرب والإسلام والمجتمعات الإسلامية بصورة خاصة، نظير موقفه من الثورة الإسلامية في إيران ومن الحرب الأمريكية العراقية (التي يطلق عليها في الغرب بحرب الخليج الثانية) وموضوعات عن اللغة السياسية للإسلام. فضلاً عن توظيفه التراث العربي الإسلامي في موازنة الإشكاليات الإجتماعية السائدة في أمريكا كالتميز العنصري وموقف الإسلام من الرق. والمهم أن دائرة اهتماماته ودراساته متجهة الآن إلى زاوية ضيقة أكثر فأكثر، ولعل ذلك يرجع إلى تلبية التوجّهات السياسية المعاصرة، وشيوع نظرية صراع الحضارات. ففي بحثه عن (جذور غضب المسلم) الذي حوّله إلى كتاب يحمل نفس العنوان يخصّص فقرة عن هذا الموضوع (صراع الحضارات Aclash of civilizations) تتبع فيه أصول العلمانية في الغرب، إذ يظهر في

---

(1) See M.Shahid Alam: "Scholarship orSophistory. A review of Bernard lewis's what went wrong? In the Atlantic Monthly, January 2002, p.68.

حالتين في التعاليم المسيحية التي أوجدت مؤسستين، الكنيسة والدولة، وفي الصراعات المسيحية التي أدّت في النهاية بالمؤسستين إلى أن ينفصلا عن بعضهما البعض.

وفي الإسلام هناك اختلافات دينية لكنها لم تبلغ الشدّة والقسوة نفسها التي حدثت بين البروتستانت والكاثوليك مثلا. ففي الإسلام ليس هناك حاجة إلى العلمانية ـ بحسب رأي لويس ـ لأن الإسلام ليس مهيئاً لا نظرياً ولا عملياً إلى منح مساواة تامّة إلى أولئك الذي يعتنقون عقائد دينية أخرى والذين يمارسون صيغاً أخرى من العبادة. ثم ينتقل إلى مسألة الصراع فيقول إن ردّ الفعل الإسلامي على الحضارة الغربية كان من جهة مثيراً للإعجاب بتلك الحضارة ومن جهة أخرى مثيراً للمنافسة والمحاكاة. والرغبة في المحاكاة نابعة من حالات الضعف والفقر والتخلّف الذي يعيشه العالم الإسلامي. وهذه الحال أدّت بمرور الزمن إلى أن تكون معادية ورافضة، لأن المسلمين شعروا بالخيبة والذلّة بوصفهم ورثة حضارة سائدة وقديمة ويفتخر بها. إذن فإن أصل الصراع قائم في هذا التباين الحضاري الذي أجّج نار الكراهية والحقد على الحضارة الغربية وعلى الغرب وأمريكا. فضلاً عن التحديّات القوية التي فرضتها حقيقة تنامي الحركات الأصولية الإسلامية ضد أمريكا بما أصطلح عليه بالصحوة الإسلامية (وبحسب المنظور الأمريكي بالأصولية الإسلامية) في شتى بقاع العالم وفي أوربا بوجه خاص، وهو يعدّ أكثر أهمية، على أساس أن الإسلام وباعتراف الغرب قد تحوّل إلى أن يكون الدين الثاني في أوربا. هنا أيضاً نجد المستشرق لويس يبدي موقفاً جديداً لم يصرّح به في دراساته السابقة، ويقضي بأن الإسلام (ديناً) هو التهديد الأكثر خطورة على التراث اليهودي والتراث المسيحي. أنه يؤلف بين التراثين في خطابه السياسي داخل أمريكا لأن الصراع الحضاري المرتقب من جانب المنظرين في أمريكا هنتغتن ولويس هو صراع بين الديانات الشرقية المؤلّفة من الإسلام والكونفوشستية والديانات الغربية المؤلفة من المسيحية واليهودية. ففي عام ١٩٩٠ وعلى إثر ظهور متغيرات أساس شهدتها الساحة العربية والإسلامية والشرق أوسطية بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وبداية تحريك الولايات المتحدة الأمور وتأجيجها أزمة سياسية جديدة في المنطقة، نشر الأستاذ لويس بحثه المذكور آنفا (جذور غضب المسلم) بهدف تقديم عرض لآرائه المتداخلة مع نظرية صموئيل هنتغتن في صدام الحضارات وأن الخطر الإسلامي على الغرب يرجع سببه الأساس إلى تخلّف المجتمعات

الإسلامية حضارياً وتقنياً، وقد حفز هذا إلى اندفاع مخالف من جانب المسلمين باتخاذ العنف معبّراً عن هذا الفشل.فبينما كان لويس يؤكد في كتاباته السابقة ـ حين كان في بريطانيا ـ فكرة التسامح الديني الإسلامي مع المسيحيين واليهود في حقب التاريخ الإسلامي المبكرة، يطرح هنا في أمريكا آراء معارضة ومخالفة لتلك الآراء مشدّداً على أن المجتمع الإسلامي دأب على معاداة أهل الكتاب وفرض سياسة مذلّة عليهم ومستشهداً ببعض تصريحات ابن لادن في أفغانستان المتعلقة بسياسة الغرب والدول الأوربية في القضاء على الدولة العثمانية بوصفها رمزا للإسلام في نظر ابن لادن وصيغة لعرض عداء المسلمين للغرب في نظر لويس.

الهدف مما تقدّم ذكره إذن إظهار مفهوم التداخل في التفسيرات والآراء المتعارضة لوجهات نظر المستشرقين المعاصرين والمستشرق المخضرم من جيل المستشرقين القدامى والذي ينتمي الآن إلى المستشرقين المعاصرين. ولما كان الأستاذ لويس قد حدّد موقفه هذا في رؤيته التي عرضها في بحثه السابق عن الإسلام والذي كرّره بشكل تفصيلي في دراسته (ما الذي جرى خطأ ؟ التأثير الغربي وردّ فعل الشرق أوسطي) وكذلك عن ردود الفعل الإيجابية المتوقعة عن مواقف كهذه فقد واصل أداء هذا الدور الإستشراقي معتمداً أساساً على مصادر التاريخ الاسلامي والمعلومات التاريخية (ونقصد الجذور التاريخية للمتغيرات الخطيرة التي تدور رحاها في المرحلة الراهنة) بما له علاقة وطيدة بسياسة الولايات المتحدة إزاء العالمين العربي والإسلامي. ولعل من الصواب القول بأن هناك أحداثاً سياسية هي التي أزّمت هذه العلاقة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ إذ نشط في كتابة المقالات والمداخلات وفي الظهور على شاشات التلفزيون في مقابلات شخصية عن الإسلام. فنشر مقالتين في إصدارات يومية أو أسبوعية لكي تكون ردود فعل سريعة من جانبه في أعقاب تلك الأحداث الأيلولية أولهما مقال (الصليب أو الصليبيون إزاء الجهاد Crusade vis a vis (vs) Jihad[1]. أما المقالة الثانية عنوانها ثورة الإسلام .The Revolt of Islam وفي كلتا المقالتين اعتمد البروفسور برنارد لويس على الماضي وبشكل خاص على التاريخ الإسلامي بغية الوصول إلى هدفه الصريح الذي أصبح شعاراً معروفاً في الغرب وأمريكا ألا وهو الإرهاب، والإسلام والإرهاب وهو في هذه الحال يساير الدعوات التي سادت الإعلام الغربي إن لم تكن السياسة الغربية والأمريكية على وجه التحديد ضدّ

(1) B.Lewis: " Crusades Vs, Djihad" in the Wall Street Journal, 27 th Sept 2001.

الإسلام، وبأن التدخل الامريكي المدمّر في افغانستان وغيرها هو حرب صليبية أعلنه الرئيس الأمريكي بوش. فنرى ان برنارد لويس يسلّط دوماً الضوء على الجذر التاريخي لكره المسلمين ـ كما يرى ـ لأهل الكتاب مع الإشارة إلى هوية الحشاشين الإنتحارية التي أخذت عملياتها تتصاعد يوماً بعد آخر وذلك بغية أن The Assasins يدعم مسالة الإرهاب الإسلامي. والمعروف عن الأستاذ لويس أنه قد سبق له أن ألّف كتاباً قيّماً عن الحشاشين طبع عام ١٩٦٧ بعنوان The Assasins بما توحي الترجمة (القتلة أو المدمنون على تناول الحشيش) والمقصود بذلك فرقة الاسماعيلية التي كانت مسيطرة على قلعة الموت.

ومن آراء الأستاذ لويس التي تمثّل التعارض بين جيلين من المستشرقين رأيه الذي عرضه في بحثه (جذور غضب المسلم) وفي بحثه الآخر (ما الذي جرى خطأ)[١] ومفاده: - صحيح أن الإسلام واحد من أعظم الديانات في العالم، وأن الإسلام جلب الأمن والسلام إلى ملايين غفيرة من الرجال والنساء. وأنه علّم الناس من مختلف الاثنيات أن تعيش سوية ومتآخية وعلم الناس من عقائد وأديان مختلفة أن تعيش متحابة جنباً إلى جنب بما يظهر تسامحاً عقلانياً. وأن الإسلام قد حفّز إلى تحقيق حضارة عظيمة أسهم فيها المسلمون وغيرهم إسهاما مبدعاً. ولكن الدين الإسلامي شأنه شأن غيره من الأديان قد حفّز ـ في حقب معروفة في التاريخ ـ أتباعه على الحقد والكراهية والعنف. ومن سوء حظنا أن يكون هذا الجزء من الإسلام في العالم الإسلامي هو الذي نشهده اليوم (الآن) بحسب رأيه. فالعبارة المترجمة السابقة تظهر بوضوح التناقض، الذي يتفاعل معه المستشرق في اللاوعي بين أن يكون عرضه إيجابياً وبين أن يتخلل هذا العرض موقفا سلبيا هادفا. والجدير بالذكر أن الأستاذ شهيد أستاذ الإقتصاد في جامعة نورث أيسترن Univ. of Northeastern مؤلف كتاب (الفقر Poverty from the wealth Nations) قد ناقش آراء الأستاذ لويس المتعلقة بالفصل بين الدين والسياسة الذي يؤدي إلى مقياس من التسامح، وكذلك ناقش المسألة الأخرى المهمة وهي العلاقة بين الإسلام والتحديث، وعدم المساواة الشائع في المجتمعات الإسلامية سواء في المعتقد أو في الرأي أو في الجنس في تعقيبه المنشور في مجلة The Atlantic Monthly في كانون الأول سنة ٢٠٠٢.

---

(1) BLewis, "the Revolt of Islam" in the New Yorker 19thOct 2001.

والخلاصة فالمستشرق برنارد لويس هو أنموذج معاصر تداخلت آراؤه وتعارضت بل أحيانا تضاربت مواقفه القديمة منها والمعاصرة تجاه الإسلام. وقبالة ذلك تجدر الإشارة إلى المستشرق مونتغمري وات Watt الذي هو الآخر قد جمع إلى حدّ كبير بين جيل المستشرقين القدامى والمعاصرين، مع أنه يمثل النقيض مع المستشرق المذكور آنفا، فهو في دراساته المعاصرة قد وجّه انتقادات لاذعة إلى عدّد من المستشرقين القدامى بسبب تفسيراتهم ومواقفهم غير العلمية من السيرة النبوية والإسلام. وبقي وات Watt متخصّصاً في التاريخ الإسلامي وفي حقبة الرسول، ثم تحول بعد ذلك إلى دراسة التصوف واهتم بهذا الحقل كثيراً. واللافت أنه لم يغير اتجاهاته ومواقفه إزاء عدد من الموضوعات المتعلقة بالإسلام ولاسيما السيرة النبوية الشريفة.

عرض لبعض مواقف وآراء المستشرقين المعاصرين:

الملاحظ من الدراسات التي ظهرت عن الإستشراق والسيرة النبوية الشريفة ولا سيما بالنسبة الى الإستشراق الحديث والمعاصر أنه قد تميّز عدد من المستشرقين الذين طرحوا آراء ناقدة بل معارضة لآراء وتفسيرات زملائهم ومفنّدة لها بوصفها تفسيرات غير علمية ولا تستند إلى المصادر الأصلية. فالمستشرق الفرنسي أميل درمنغهام Emile Dermenghem مؤلف كتاب (حاة محمد La Vie de Mahomet) المطبوع مرتين الأولى في سنة ١٩٢٣ والثانية في ١٩٥٠ خصّص جانباً من كتابه لتوجيه الإنتقاد للمستشرق المبشر المعروف هنري لامانس الذي وقف موقفاً معارضاً بل معادياً للإسلام والرسول والأحاديث النبوية بشكل مطلق. فقد أشار إلى رأي لامانس في الحديث الشريف قائلاً: - إن لامانس قد أعلن قطيعة مع أحاديث الرسول برمتها بتهمة إنها أحاديث مرسومة وغير موثوقة. لكنه موقف مبالغ به جداً إذ كيف تكون الحال إذا رفضنا جميع الأحاديث الشريفة؛ وكيف إذن يمكن تدوين التاريخ الإسلامي؟ فتغييب الحديث سيؤدي إلى بروز ثغرات واسعة في الكتابة التاريخية عن الرسول. فالمفهوم بل والصحيح من الناحية المنهجية إن اتفاق شهادتين أو دليلين يعدّ عامل قوة ودعم لهذه الرواية التاريخية أو تلك لا عامل ضعف، وأن الكثير من الأحاديث إنما وردت بهدف شرح بعض النصوص القرآنية. ومع هذا فإن على المؤرخ أن يعتمد على منهج نقديّ وتحليليّ في الجرح والتعديل للموازنة بين الأحاديث الموثوقة التي لا غبار عليها وبين الحسن منها أو المقبول أو الضعيف أو الأحادي بغية الوصول إلى قدر معين من

الحقيقية. فإما أن تكذّب جميعها أو ترفض برمتها أو لا تصدق بالمرّة من دون أساس علمي[1] فهو أمر مبالغ فيه. لذلك وقف عدد من المفكرين العرب، الذين ألّفوا في السيرة النبوية، من درمنغهام بأنه خير من كتب من المستشرقين عن حياة النبي. فامتدحه الأستاذ محمد حسين هيكل قائلا: إن درمنغهام قد كتب عن حياة الرسول بشيء من الإنصاف[2].

أما بخصوص أهمية كتاب درمنغهام فمما لا شك فيه أنه قد نهج في ترتيب مكوّنات الكتاب منهجاً مختلفاً، إذ بدلاً من أن يخصّص الفصل الأول ـ بحسب ما أعتاد عليه المستشرقون ـ عن الجزيرة العربية وصولاً إلى مكة ثم إلى ظهور الدعوة الإسلامية فإنه ابتدأ بعرض رواية عن الصحابي سلمان الفارسي (المحمدي) مسلّطاً الضوء على أصله النصراني ثم تنقلاته من بلاد فارس إلى بلاد الشام إلى يثرب. وكذلك تحدّث عن حياته في الكنائس في بلاد الشام وعمله عاملا عند أحد يهود يثرب. فتشديد درمنغهام على هذه السيرة في حياة هذا الصحابي المعروف إنما تهدف إلى تبيان الأثر النصراني من دون شك؛ وذلك لأنه دأب في الإشارة هنا أو هناك إلى هذا الجانب خلال دراسته عن الرسول؛ فيركّز على وجود النصرانية في الجزيرة العربية وعلى التقاء الرسول قبل البعثة بالراهب بحيرى ثم أن السيدة خديجة كانت بحسب رأي درمنغهام الوسيط بين النبي وابن عمها ورقة بن نوفل النصراني. والمستشرق في الفصول الأخرى من الكتاب كان ينتقي عنوانات هادفة نظير:- طفولة النبي وشبابه، حرب الفجّار، إسلام عمر وحمزة، الهجرة، النصرانية والإسلام، المدينة ومعارك الإسلام الأولى، بدر، مكة تستعدّ للثأر، الخندق، اليهود، زوجات الرسول... الخ.

وفي هذا الإتجاه نفسه لا ريب من الإشارة إلى المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غبريللي F.Gabrele مؤلف كتاب (محمد والفتوحات الإسلامية Muhammed and the Conquests of Islam)[3]. فقد تناول في الفصل الأول من كتابه موضوعاً مهمّاً يتعلق

---

(1) B.Lewis: "What went wrong? Western Impact and Middle Eastern Response (Oxford 2002).

(2) Dermenghem, Emile, La Vie de Mohammed (Paris 1929),

وترجمه إلى العربية عادل زعيتر بعنوان (حياة محمد) وطبعه طبعتين. ناجي: د. عبد الجبار: الاستشراق والسيرة النبوية/ مجلة دراسات إسلامية/ بيت الحكمة عدد١/ ٢٠٠٠.

(٣) ينظر الكتاب (النسخة الفرنسية) ص ٥ والترجمة العربية (ط٢/ بيروت ١٩٨٨) ص٧.

بمتابعة تاريخية للتفسيرات الإستشراقية، منذ العصور الأوربية الوسطى، للإسلام ولجوانب من السيرة النبوية، فانتقد آراء المستشرقين أو بالأحرى الكتّاب الذين خضعوا لمؤثر الإتجاهات الكنسية وكتابات المستشرقين البيزنطيين المعاديّة. ويرى غبرييلي أن ظهور الإسلام قد شكّل عنصراً عقيدياً منافساً للغرب، ولهذا السبب اندفع هؤلاء، من مستشرقين وكتّاب، إلى النيل من الإسلام والطعن بالقرآن الكريم واتهام (الرسالة المحمدية) بأنها (أسطورة محمد) وبأن هدفها أي الديانة الإسلامية ـ بحسب رأي غبرييلي ـ ضرب النصرانية[1].

ولعل من المناسب الإشارة إلى الملاحظة السابقة المتعلقة بالأستاذ برنارد لويس أنه في كتابه القديم المترجم (العرب في التاريخ) يفنّد تفسيرات الغربيين من مؤلفي العصور الوسطى الأوربية المعادية للإسلام، فيقول:- هذا الإتجاه دفعهم إلى تشويه اسم الرسول محمد فحرّفوه إلى ما هوند Mahound ويقصد به آله الظلام. ويقول الأستاذ لويس ما نصّه: إن المؤرخ المعاصر لا يمكنه تصديق هذه الإتهامات والتفسيرات. فحركة مهمة وعظيمة كالإسلام الذي ولد ذاتياً ثم توسع وانتشر في الآفاق لا يعقل أن تكون من صنع نبي كاذب أو مخادع كما يراه الأوربيون الذين تأثروا بأساطير رجال الكنيسة وتخرصاتهم واتساع تأثيراته، وعلى هذا يعد رداً صريحاً على ما سبق أن ذكره عن الإسلام في التسعينات من القرن العشرين.

ومهما يكن فهذه الحال تفرض علينا القول بأن موقف البروفسور مونتغمري وات Watt المستشرق الإسكتلندي هو الموقف الواقعي والصريح فيما يتعلق بالتفسيرات والآراء التي اعتقد بصحتها هنري لامانس بشأن الإسلام والحديث النبوي الشريف. فالأستاذ وات Watt يعلن بجلاء في كتابه المشهور (محمد في مكة Muhammad at Mecca) دراسات وآراء لامانس قد دفعته إلى أن يأخذ موقفاً رافضاً رفضاً كلياً للروايات التاريخية الخاصة بالحقبة المكّية، بحيث إن العلماء المتأخرين ـ وهو يقصد بذلك المستشرقين المعاصرين ـ قد أعربوا عن رأي عام مفاده كان لامانس متطرفاً جداً في مواقفه ضدّ الإسلام هذه. مقابل انتقاد غبرييلي للأحكام والإستناجات غير الموضوعية التي كان لامانس يفرضها، فإنه (أي المستشرق

---

(١) ينظر العقيقي، نجيب: المستشرقون، ط٣/ دار المعارف، مصر ١٩٦٤، ج١، ص ٢٩٨، محمد حسين هيكل: حياة محمد (ط٥، القاهرة ١٩٥٢) ص ١٠.

غبريلي) قدّم اتجاهاً آخر معارضاً لمجموعة من المستشرقين من الجيل القديم ممّن ناوئوا الإسلام. وقد عبّر عن ذلك بوصفهم The opponents of Islam (أعداء الإسلام)، وشدّد في هذا الوصف على أولئك الذين صرّحوا في دراستهم أن النبي كان مصاباً بالصرع ثم أسّسوا على هذا التفسير أستنتاجاً حاقداً مفاده كون رسالته الدينية على هذا الأساس غير شرعية بل وكاذبة. وكان غبريللي في موقفه هذا يؤيد مونتغمري وات الذي سبق ذكره آنفاً في رفضه التخرصّات تلك منبّهاً إلى أمر مهم بأن الروايات التي أدلّى بها مؤرخو السيرة النبوية نقلاً عن رواة موثوقين بوصف الحالات التي أظهرها الرسول حين كان يتلقى الوحي لا تشابه الأعراض المرضية المعروفة في حالات الصرع.فأعراض الصرع ـ بحسب الوصف الطبي ـ تؤدي بصاحبها إلى حال أشبه ما تكون بانهيار عصبي وعقلي، بينما كان النبي حين نزول الوحي في كامل وعيه وقواه العقلية والنفسية والبايولوجية. وبالنتيجة يصل هذان المستشرقان إلى القول بأنه لا جدوى من مناقشة هذه الإفتراءات، وهي بالفعل تنمّ عن جهل هؤلاء المستشرقين وتظهر مدى حقدهم وتعصبهم الأعمى. ولم يكن وات بعيداً عن المصادر الأصلية عن سيرة رسول الله، فإنه كانأستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أدنبره ويعدّ من المستشرقين الكبار في هذا الميدان. إذن فإنه من دون شكّ على صلة وثيقة بالرواية التاريخية الإسلامية في مؤلفات السيرة والتاريخ الإسلامي والطبقات والرجال، فضلاً عن توثيقه الآراء في الكثير من الحالات بالإستشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف. كذلك الحال بالنسبة إلى غبريللي فإنه مستشرق إيطالي قد حقّق الكثير من الإنجازات وكتاباته معتمدة. فهو في كتابه (محمد والفتوحات الإسلامية) قد رجع إلى المؤلفات التاريخية والتراجمية الأساس، فضلاً عند اعتماده على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عند مناقشته تفسيرات واتجاهات الكتابات البيزنطية والإستشراقية غير الموضوعية[١].

ومهما يكن فإن البروفسور وات وغيره من المستشرقين المعاصرين الذين لم يتّفقوا مع تفسيرات مستشرقين يمثّلون جيلهم أو الجيل الذي سبقهم نراهم يؤلفون الكتب عن السيرة النبوية وعن الإسلام ومبادئه بهدف الوصول إلى نتائج أكثر وضوحاً وواقعية، من وجهة نظرهم، ولم يكن هدفهم هذا متحركاً صوب التعريض المباشر والمسيء

---

(١) ينظر درمنغهام: حياة محمد (ترجمة زعيتر) ص ٣٢، ٣٥، ٥٣، ٧٨، ١٥٥، ١٦٩، ١٢٤، ١٣٢، ١٩٤.

للإسلام فقط. فضلا عن هذا فإنهم ـ على الضدّ من كثير من المستشرقين ـ يستندون في بناء آرائهم إلى المظّان الإسلامية ولم يكتفوا بنقل الأفكار الإستشراقية الجاهزة التي سبق وأن أعدت من قبل غيرهم، التي تتخلّلها توجّهات سيئة ومشكّكة بشأن مسائل تخصّ تاريخ أمتنا الإسلامية وتاريخ السيرة النبوية. فالمنهج الذي يحاول هؤلاء المعاصرون التشديد عليه مبنيّ على تمحيص الروايات التاريخية عن سيرة النبي وغربلتها ومناقشتها بغية تقديمها وعرضها بشكل لائق من دون المساس بمشاعر المسلمين أوالإساءة الى معتقداتهم أو الطعن بالرسالة السماوية. فهم يعرضون مواقفهم كمستشرقين وغربيين ومسيحيين أو يهود ولا شكّ في أن تكون طروحاتهم غير مقبولة تماما من قبل بعض المفكرين والمؤرخين العرب والمسلمين. فهي وجهات نظرهم مستمدّة من ثقافاتهم وقيمهم الإجتماعية والثقافية ومعتمدة على سعة أفقهم الحضارية والبحثية. لذلك حين يصرّحون مثلا بإعجابهم بشخصية الرسول أو الإشادة بأمانته وذكائه وإخلاصه وصدق نواياه وأهدافه وبساطة ونبل أخلاقه وتفانيه في سبيل الإسلام وترسيخه في قلوب المسلمين الذين عاشوا دهراً في العصر الجاهلي فضلا عن إخلاصه في تثبيت دعائم الدين الجديد الواحد، يعدّ بالفعل معجزة عظيمة، حينما يعرض هؤلاء المستشرقين رؤيتهم التي تخالف الرؤية الخاطئة تلك التي سيطرت على الساحة الفكرية والدينية والإجتماعية الغربية ولم يخشونهم ولم يخافونهم، إنها حقّاً مسألة بحث وتتبع قد تنسجم مع الطرح السابق وقد تفنّده.

ولكي نوضح هذه الأفكار نستشهد بأمثلة من الأقوال والآراء التي قدّمها المستشرقون والكتّاب الغربيون بشأن سيرة الرسول. فاعتماداً على الأستاذ محمد كرد علي ـ رحمه الله ـ فإن تولستوي وهو لم يكن مستشرقاً قد وصف الرسول بأنه من أعظم الرجال المصلحين الذين خدموا الإنسانية خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه قد نجح في هداية أمته جميعاً نحو الحقّ والخير والسلام ودفعها إلى ان تؤثر الحياة البسيطة والزهد ومنعها من سفك الدماء والتقاتل وفتح لها طريق الرقيّ والمدنية والحضارة. فعمل عظيم كهذا العمل لا يقوم به ولا ينجزه إلّا الشخص الذي وهب قوة ورجولة. فهو إذن حريّ بالإحترام والتبجيل واعتماداً على الأستاذ نقرة التهامي فإن المستشرق الفرنسي كلود سفري الذي أنجز ترجمة للقرآن الكريم ذكر في مقدمة هذه الترجمة: - إن محمداً قد أسس ديانة جامعة استندت إلى عقيدة بسيطة وواضحة وتركّزت على مبادىء مقبولة عقلانياً من أهمها الإيمان بإله واحد وهو الإله الذي كرّم بني آدم وأثابهم وحثّهم على

تجنّب الرذائل وأعمال الشرّ.ثم يردف قوله هذا بأن الغرب المتنوركان على الرغم من اعترافه بنبوة محمد غير أنه لا يعترف بأنه من أعظم الرجال في تاريخ الإنسانية[١]. وفي هذا الخطّ نفسه من الآراء الإيجابية فإن مايكل هارت Michael H. Hart (سبق الإشارة اليه) قد خصّص في كتابه الذي يحمل عنواناً جامعاً هو (أعظم الرجال أثرا في التاريخ) الباب الأول من هذا الكتاب للحديث عن النبي وقال ما نصّه في العربية ((إن اختياري محمداً ليتصدر قائمة الرجال الأكثر أثرا في العالم ربما يثير دهشة بعض القرّاء. ومن المحتمل أنه يثير تساؤلاً عند البعض الآخر، غير أنه بالفعل الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقّق أعلى درجات النجاح في كل من الصعيدين الديني والدنيوي)). إذ كان من أصول متواضعة لكنه نشر واحداً من أعظم الأديان في العالم، وقد أصبح زعيماً سياسياً مؤثّراً بشكل كبير. واليوم وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثره ما زال يعدّ الأثر النافذ والقوي والشامل. إن محمداً أدّى دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام موازنة بما أدّاه السيد المسيح في تطوير المسيحية[٢].

وفضلاً عن هذا فإن نشرة قد أدخلت في الإنترنيت تحمل عنواناً له فاعليته في زماننا هذا وهو (ماذا يقول غير المسلمين عن الإسلام)[٣]. وتنقل هذه النشرة آراء كتّاب ومستشرقين وسياسيين معروفين في التاريخ المعاصر أمثال جورج برناردشو ولامارتين وغاندي وكارلي فلورنا وهو عضو في مركز GEO الكائن في منسيوشسوتا في الولايات المتحدة، وقد قدّم محاضرة في المركز البحثي المذكور في ٢٦ أيلول ٢٠٠١ أي بعد أحداث أيلول بحوالي خمسة عشر يوماً حين كان الساسة فيها يحرّضون الناس على أن الإسلام هو الإرهاب، وعنوان محاضرته (ما الذي يريده المستقبل من زعماء اليوم)[٤].

وفي مجال آخر يقول برناردشو: ((أعتقد لو أن رجلاً مثل محمد يأخذ على عاتقه

---

(1) Francisco Gaberli: Muhammed and the Conquest of Islam (Trans by: Virginia Luling and Rosamund linell? London 1968).

(2) Ibid, p. 14-15

ينظر ناجي، د. عبد الجبار: الاستشراق والسيرة النبوية/ الدراسات الإسلامية ص ٩٧.

(3) B.Lewis, The Arabs in history (London 1950) p. 48.

وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان (العرب في التاريخ).

(4) See Watt, M: Muhammad at Mecca (oxford 1953) p. 57, idem Muhammad prophet and statesman (oxford 1961) p. 238,

المسؤولية القيادية الفردية للعالم المعاصر، فإنه سيحل المشاكل الكبيرة بطريقة تجلب السلام والسعادة. فقد بدأت أوربا تفتتن أو تغدو متيّمة بقصيدة محمد، حتى إننا ربما نتّجه في القرن القادم بشكل أكثر نحو الإعتراف بفائدة وقيمة هذه القصيدة في حل مشكلاتها (ويلاحظ أن هذا القول قد تمّ اقتباسه من مجموعة كتابات لبعض العلماء والبارزين عام ١٩٣٥)).

أما لا مارتين فقد وصف الرسول الكريم بما نصّه ((إن كانت العظمة في النتائج والغايات، والمحدودية أو الضآلة في الوسائل والإندهاش إلى حدّ مذهل في النتائج هي المعايير الثلاثة لأديقرية الإنسانية، فمن يزعم أن بالإمكان الموازنة بين محمد وأي عظيم في التاريخ الحديث[1] (ويلاحظ ان هذه النشرة قد اقتبست هذا القول من تاريخ تركيا Histoire de la Turquie المطبوع عام١٨٥٥).

وقال غاندي ما نصّ ترجمته : ((صرت مقتنعاً بصورة أكثر ممّا كنت عليه بأنه ليس السيف هو الذي أكسب الإسلام مكانة في تلك الأيام، إنها البساطة الصلبة وكذلك نكران الذات للنبي، والإحترام الدقيق للعهود، والإخلاص والتفاني الشديدين لأنصاره وأصدقائه، ولجرأته وبسالته وشجاعته وثقته المطلقة بالله وببعثته. إنه وفّق بهذه (لا بالسيف) أمامهم وتغلّب على كل مشكلة أو عقبة (يلاحظ هذه النشرة اقتبست قول غاندي من كتابه الهند الصغيرة المطبوع عام ١٩٢٢).

وللمستشرق الإيطالي فرانسسكو غبريلي (Gabriela) أقوال وآراء معاصرة عن شخصية الرسول الكريم ودعوته في مكة تستحق الذكر. ففي بداية الفصل الخاصّ بالنبي محمد، يبيّن موقفا إزاء الكتابات الغربية المعادية وغير العلمية، وهو يطلق عليها الدراسات الشكّية التي شكّكت في الإسلام فزعمت بأن الشعر العربي قبل الإسلام مصدراً له وكذلك شكّكت بكل مصدر يطلعنا على العقيدة الإسلامية في مرحلتها الأولى أو كل مصدر يقدّم معلومات عن شخصية النبي بما نصّ ترجمته ((هذا المنهج الشكّي قد رفضه عدد من أحدث الكتّاب الذين ألّفوا عن حياة النبي محمد وسيرته، أولئك الذين يؤكدون أن معرفتنا في هذا الموضوع ولا سيما أصوله وسيرته وحياته الأولى ناقصة وكثير منها يتألف من قصص، وأن هناك ثغرات ومعلومات غير دقيقة. فهم (والقول للمستشرق غبريللي وهو يناقش المستشرقين) لا يعدّون هذه

---

(1) Op. Cit., p. 15-17.

الأخبار بصورة عامة موثوقة)). أما موقف غبريللي نفسه وعبر كتابه من رسول الأمة فيقول ما نصّ ترجمته : ((تلقّى هذا الشاب الدعوة عندما بلغ سن الأربعين تقريباً، وكان هذا الشاب الهاشمي يكسب رزقه بفضل مايتمتع به من ذكاء وأمانة كبائع في القوافل التجارية. وإن حسن تدبيره وبراعته في تدبير رزقه قد أكسبه احترام الناس الذين كانوا حوله)). وفي مجال آخر يصف النبي قائلا :((فالشاب محمد قد خبر الفقر وعرفه مع أنه لم يصل مرحلة العوز المدقع. وشهد كيف أن العبادات التقليدية في مكة قد حجّمت إلى مجرد طقوس وثنية سإذجة لا غير)). وأضحت المنافع المادية هي العامل الأساس والقوي في حياة معاصريه، إذ كان يقاس المرء وتقاس مكانته وقيّمته بما يمتلك من أموال. فإنه قد أسهم بتواضع وببساطة في حياة مكة السياسية والإجتماعية وشهد اندلاع الحروب الداخلية والضغائن والأحقاد في المجتمع المكي))[١]. وفي الفصل الثالث الموسوم بـ (محمد في مكة) ينتهي عرض غبريللي المفصّل واصفاً النبي وصفاً جادّاً فقال : ((لقد احرز محمد خبرة دينية كبيرة بعد صبر طويل ومعاناة شديدة بالكدّ والعمل الجادّ. وقد استمر في كفاحه بحماس وانفعال وعاطفة وإيمان راسخ وثابت ولا سيما عندما وجد نفسه وجهاً لوجه أمام مقاومة عنيفة من الفئة الحاكمة في مكة. وناضل بإيمان لا يتزعزع عن رسالة الإسلام الحقّة وسموّها الديني والأخلاقي. وقد عرف كيف يكسب المعركة من دون أية موارد مالية لإغراء الناس فانجذبوا نحوه طيلة ذلك الوقت بقدر ما كان يتمتع به من شخصية محبوبة غير مشكّوك بها وبنبل عقيدته وهي صفة فطرية جبل عليها. فكان الأكثر نبلاً والأكثر حيوية بين أتباعه وابناء مدينته الذين قدّر لهم أن يكونوا مسؤولي الإمبراطورية الإسلامية المستقبلية))[٢].

وما زلنا نتحدّث عن مناقشة غبرييلي لموقف المستشرقين المناوئين الذين شكّكوا في المصادر العربية الإسلامية والحديث الشريف، نجده ـ غبرييلي ـ يعتمد على مؤلفات السيرة لتزويده بالمعلومات الخاصة بالمرحلة المبكّرة من حياة الرسول، وهي المرحلة التي يأخذ مستشرقو الجيل الأول منها موقفاً شاكّاً. أما المستشرق أدورد بيوري Bury فيقول ما نصّ ترجمته: ((ولد محمد بن عبد الله النبي العربي وخاتمة النبيين الذي جاء يبشّر العرب والناس أجمعين بدين جديد ويدعو إلى الله الواحد الأحد، وليّتم الوحي الذي نزل من قبل على اليهود والنصارى)). وفي الإتجاه نفسه

(١) الإسلام والحضارة العربية (القاهرة ١٣٤٩هـ)، ج١، ص ٦٦.

(٢) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج١، ص ٦٦.

أضاف توماس كارليل في كتابه (الأبطال) معلومات تفيد بأنه قد استقاها من مؤلفات السيرة النبوية من دون أن يشكّك بها فيقول : ((لقد أصبح من العار على أي فرد متمدن من ابناء العصر أن يصغي إلى تلك الإتهامات التي وجّهت إلى الإسلام وإلى نبيه، وواجبنا محاربة ما يشاع من أمثال هذه الأقوال السخيفة المخجلة. فإن الرسالة التي أدّاها الرسول العظيم ما زالت السراج المنير لنحو أربعة مائة مليون من البشر))[١].

عودة إلى إشكالية القديم والمعاصر في الإستشراق:

أفضل ردّ نقدّم به هذه الإشكالية هي :- الدعوة إلى ان نعيد النظر في الموقف من الإستشراق كمنهج لدراسة قضايا تراثنا العربي والإسلامي، وذلك بتفحّص النسيج الداخلي للمعلومة الإستشراقية وغربلتّها بما يتعلق الأمر بمصدرها الأساس. فإن كان المصدر الأساس فكرة إستشراقية جاهزة اعتمد مستشرق معاصر على مستشرق آخر من الجيل الذي سبقه أو من معاصريه، فعلينا التأكد من ذلك المستشرق ومصادره أيضاً، فمن المحتمل أن نجده هو الآخر قد تأثر بعقلية الكتّاب الكنسيين وبذلك يصبح من الميسور تصنيف آرائه على وفق مصادره. وقد أشار المستشرق مونتغمري وات إلى هذه المنهجية في مناقشة تحليلات أو تفسيرات المستشرقين المعادين أو المتشككين في كتابه (محمد في المدينة) وكرّر رأيه هذا في كتابه الآخر (محمد النبي ورجل الدولة) إذ قال: ((ليس هناك من رجل بين الشخصيات العظيمة في العالم قد كثر شانئوه ومنتقدوه مثلما حدث بالنسبة الى محمد، ومن الصعب فهم العوامل والأسباب التي دعت إلى ذلك. فلقد كان الإسلام عبر قرون عديدة العدّو الأكبر للمسيحية، والواقع فإن المسيحية لم تكن على اتصال مباشر بأية دولة أخرى منظّمة توازي الإسلام من ناحية القوة. فقد هوجمت الإمبراطورية البيزنطية بعد خسارتها مستعمراتها في كل من سوريا ومصر وآسيا الصغرى، بينما كانت أوربا الغربية في صقلية وأسبانيا هي الأخرى مهدّدة من الإسلام))[٢]. ويستمر هذا المستشرق المنصف في توضيح موقفه بالقول: ((إن الدعاية الكبيرة المعلنة في العصور الأوربية الوسطى قد استحوذت على عقول

---

(١) التهامي، نقرة: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (الرياض ١٩٨٥) ج١، ص٢٤.

(2) Hart, Michael: The Most Influential Persons in History, No, I Muhammad, p. 1-4.

صبره، عفاف: المستشرقون ومشكلات الحضارة (القاهرة، ١٩٨٠) ص٥٤.

واهتمامات المسيحيين لطرد العرب من الأراضي المقدسة في القدس حتى قبل أن تتوجّه الإتهامات بتنفيذ الحروب الصليبية. وكانت هذه الدعاية أو الإعلام يتجه صوب إقرار فكرة العدّو الأكبر في إذهان الأوربيين وإن كانت تلك الدعاية تخلو من أية موضوعية)). وقول وات في الستينيات يكاد يتفق تماما مع ما يعلّق عليه الإعلام في أوربا الغربية وأمريكا اليوم من أن الإسلام هو الإرهاب وأنه ـ كما صور برنارد لويس المسألة ـ ضدّ التراث المسيحي والتراث اليهودي. لذلك فإن الدراسات الإستشراقية وما تحمله من تفسيرات خاطئة ومن افتراءات هادفة لا تنصرف إلى دراسة تاريخ العرب والمسلمين عامة بقدر ما يهمّها دراسة شخصية الرسول وسيرته وشخصيته وحياته المبكّرة، لماذا لأنه يعدّ المؤسس للدولة العربية الإسلامية، وبوصفه رسول الله تعالى قد اختاره من بين العرب لنشر الرسالة السماوية التوحيدية فهو رمز الإسلام ورمز ديني وعالمي. واعتماداً على رأي (وات) فإن الإسلام بعد ظهوره ونجاحه كان الخصم اللدود للغرب وللعقلية الغربية السياسية والإستعمارية المتمثّلة بالحروب الصليبية، فلا جدال في أن يشوّه الغرب الكنسي الوسيط صورة الإسلام وصورة نبيّه فصار اسم محمد على صيغ أخرى مثلا على شكل ماهوند أي إله الظلام أو إله الشر. وليس بخاف ما لهذا المعنى المشوّه من تأثير سلبيّ على العقلية الصليبية المعادية، كما أنه ليس عجيباً أن تؤثّر المعلومات الخرافية الكنسية الوسيطة عن الإسلام والمسلمين ووصفهم بأنهم هراطقة وكفّار على الوسط الذي هدف حكّام أوربا آنذاك من ورائه إلى تحشيد الألوف من البسطاء والفلاحين والخاضعين لقهر الإقطاعيين وسطوتهم بما عرف بالحملة الصليبية الأول. ولم يقتصر هذا التأثير على البسطاء والعامّة من الغربيين إنما كان له الوقع عينه في عقليات مثقّفة. فالمستشرق آر. أف. بودلي كتب في كتابه (حياة محمد)[1] إن محمدا ما هو الاّ كاردينالا مسيحيا قد انشقّ عن البابوية وتطلّع الى الوصول إلى هذا المنصب، فعندما لم يفلح في مرماه هذا ادّعى أنه نبي. وقد نعته بنعوت تنمّ عن ذوقه التافه والبغيض للإسلام ولنبيه الكريم. ففي رأي وات وغبرييلي فإن موقفاً مثل هذا لا يستحق الجدال والمناقشة لأنه رأي متعصّب ومتأثر بشكل نقلي وحرفيّ بأفكار الكنيسة الوسيطة من دون أن يتحرّر منها للمتابعة والبحث وقراءة المصادر الأجنبية على الأقل عن هذا الموضوع فهو مستشرق حاقد وعقليته مغلقة

---

(1) Hart, op, cit. p. 1-2.

تماما. والمستشرق الأمريكي واشنجتون[١] أرفنج في تأكيده مسألة زوجات الرسول يعدّ كسابقه (بودلي) ممّن تأثر بالكتابات الإنجليزية نظير كتاب همفري بريدو الجاهزة. والحقيقة أن بودلي وأرفنجلم يعرفان اللغة العربية وبذلك لم يطّلعا على المصادر التاريخية الإسلامية المعروفة آنذاك ككتاب طبقات ابن سعد وكتاب السيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبري فاضطّرا إلى نسخ معلوماتهما الجاهزة من المستشرقين الآخرين. فأرفنج على سبيل المثال عندما كان في أسبانيا ممثّلاً دبلوماسياً لبلاده أمريكا اهتم بدراسة الشرق، فألف عن غرناطة والحمراء ثم عني بدراسة حياة النبي محمد معتمداً في معلوماته على "معلمه" الذي يبدو أنه كان يعرف العربية ويوّصل المعلومات له[٢]. لذلك فالأرجح أن هذا المعلم قد شوّه له المعلومات وأوصّلها بصورة غير صحيحة، ولكنه ضمنّها في كتابه من دون تحرّ أو موضوعية. وهكذا الحال بالنسبة إلى كثير من المستشرقين. واللافت للنظر أن المستشرقين من شتّى المدارس الإستشراقية الفرنسية والإنجليزية والأمريكية ركّزوا على مسألة زوجات الرسول ليستثمروه في افتراءاتهم وتفسيراتهم. وهي ردّ فعل بالنسبة إلى مظاهر التفكّك في الحياة الأسرية في الأسرة الغربية وظاهرة التحلل الأخلاقي في العلاقات بين الجنسين وظاهرة الشذوذ الجنسي التي تعمّ المجتمع الغربي. وقد علل المستشرق وات المسألة الخاصّة بتعدّد زوجات الرسول تعليلاً تشريعياً واجتماعياً وسياسياً ردّاً على الطاعنين من المستشرقين القدامى والمعاصرين. ففي رأيه كان الرسول عادلاً في علاقاته الأسرية وبين زيجاته. ثم وجّه عرضه إلى أمر مهم وهو الأهداف التي سعى رسول الله الى تحقيقها من وراء الزواج وأنه إما هدف سياسي أو تشريعي أو اجتماعي، فزواجه ـ على سبيل المثال ـ بزينب بنت جحش تم؛ لأنها كانت من أقارب الرسول وكان أهل قبيلتها حلفاء والد أبي سفيان لذلك فإن المصاهرة هذه تعدّ جزءا من المخطط للتحالف السياسي. وقد انتهج الرسول هذا الغرض أيضاً في زواجه هو أو بتزويجه بناته فكانت أم كلثوم للخليفة عثمان وفاطمة للأمام علي وعمل خارج حدود أسرته فزوّج حمنة بنت جحش لطلحة بن عبيد الله وحبيبة بنت جحش أديد الرحمن بن عوف[٣]. ولم يكن زواجه بزينب بنت جحش مطلّقة متبناه زيد بن حارثة كما يفسره أرفنج أو بودلي أو غيرهما، إنما ليقدّم

---

(1) http/www. Daar- ul- ehsaan. Org/ story,htm. P. 2-3.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

بذلك أنموذجاً لمجتمع المسلمين. فزينب هي بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة الأسدية ابنة عمة الرسول، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. وكانت زينب تفاخر زيد بن حارثة في نسبها وقد اشتكى إلى النبي أكثر من مرّة من سوء معاملتها، ولم يطلقها بناء على مشورة من الرسول ولكنه لم يطق العيش معها فطلّقها. وكان العرب يدينون بتقليد معروف بينهم وهو التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابهم ولذلك سنّ الشرع إبطال هذه العادة وإبطال إعطاء الدعي جميع حقوق الابن النسبي كالميراث. فالرسول هدف إلى نبذ الإعتبارات العصبية. مع هذا فقد بقي بعض المستشرقين المعاصرين يردّدون التحليلات السابقة نفسها منطلقين من فهمهم الغربي فهذه هي المستشرقة الفرنسية آن ماري دي لاكمبر تردّد في كتابها (محمد)[1] هذه الأفكار وهي مندهشة أن شخصية كشخصية الرسول تحمل صفات النبوة ويولي لحياته الخاصة مثل هذا الاهتمام الكبير. وفات هذه المستشرقة وغيرها من المستشرقين ان يدرسوا المؤلّفات الكثيرة التي خصّصت للأسرة الإسلامية وللزواج والطلاق مجالاً واسعاً، فتعدّد الزوجات في الإسلام مرهون بالعدل (واعدلوا أي بأمر العدالة) ثم أن الزواج والمصاهرة كانا من العناصر التي استخدمت في جميع الحقب التاريخية بهدف تقوية روابط الأحلاف والتحالفات السياسية والإجتماعية.

خلاصة:

أتينا على ذكر كلام المستشرق وات الذي يشير الى الرسول العظيم بقوله :- ليس هناك عظيم من العظماء في العالم قد تعرّض للإتهام والافتراء كما تعرّض له النبي محمد. فإنه ليس هناك من شخصية دينية أو سياسية في التاريخ قد أخضعت للدراسة والتأليف والبحث من المستشرقين مثلما خضع له الرسول الكريم ولا سيما سيرته وشخصيته وأخلاقه وحياته ونبوته ودعوته الإسلامية. واختيار المستشرق هارت Hart واقعي بجعله الرسول الكريم أعظم شخصية مؤثرة في العالم بين مائة شخصية قد أنتقاها في كتابه المذكور آنفا. فقد أحصينا أكثر من خمسين كتاباً وبحثاً باللغات الأجنبية خصّصت لهذا الموضوع وجميعها يحمل عنوان النبي، وهو إحصاء جمع بين الجيلين من المستشرقين القدامى والمعاصرين. وقبل تشخيص هذه المساهمات العالمية في التدوين التاريخي للمستشرقين بخصوص سيرة رسول الله، لابدّ من أثارة

(1) Ibid.

نقطة جديرة بالأهمية وهي :- يلاحظ أن هناك نشاطا مكثّفا في توجّه الأقلام الإستشراقية للكتابة في هذا المضمار منذ حوالى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. وهو تطوّر له دلالاته السياسية والإقتصادية بما له علاقة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي بحدود خطورة النهوض الإسلامي إبان التوسعات العسكرية للإمبراطورية العثمانية إزاء ردود فعل الإمبراطوريات البرتغالية والبريطانية والفرنسية. ولعله من المناسب توزيع هذه العنوانات على وفق البلدان الأوربية. ففي فرنسا ألّف المستشرق بولينفية Henri Boulainvillers كتاباً بعنوان حياة محمد وهو باللغة الفرنسية[1] ولم يترجم الى اللغة العربية بينما قد ترجم الى اللغة الإنجليزية، وألّف المستشرق ديمومبين Maurice De Mombyne كتاباً بعنوان (محمد) وهو بالفرنسية ولم يترجم، وألّف المؤرخ الفرنسي المعروف رينان .Renan,E بحثا بعنوان (محمد وأصول الإسلام) المنشور في Etudes de L, histoir religon) paris 1864)، وألّف المستشرق Barthelemy Saint-Hilaire كتابا بعنوان (محمد والقرآن[2] Mohomet et le Quran).Paris 1865,.BASED on Sprenger and Muir). وحسب العنوان فالمستشرق بارثيلمي قد استند في كتابه الى كتاب شبنجلر الألماني (حياة محمد ومعتقده) وكتاب المستشرق البريطاني الإسكتلندي موير(حياة محمد). وصنّف المستشرق الفرنسي شول Ch.Scholl كتابا بعنوان (الإسلام ومؤسسه L,Islam et le son fondateur) وطبع في باريس سنة ١٨٧٤. وألّف المستشرق الفرنسي أدوارد سيوس Edourd Sayous كتابا بعنوان (عيسى المسيح قبل محمد Jesus Christ d,apres Mahomet) Paris1880) وألّف مكسيم رونسون M.Rodinson كتاباً بالفرنسية بعنوان (محمد) ترجم إلى الإنجليزية بالعنوان نفسه من قبل آن كارتر Anne Carter ولم يترجم إلى العربية، وكتبت آن ماري ديلكمبر Delcambre (كتاباً بالفرنسية عنوانه Mohommet laParole d'Allah وترجمته محمد كليم الله أو كلام الله) ولم يترجم إلى العربية. وكتب المستشرق إتيين دينية Etiene Dinier الذي اعتنق الإسلام وسمي باسم ناصر. الدين كتاباً بعنوان (محمد رسول الله) وقد ترجم إلى العربية عام ١٩٦١[3]. وألّف المستشرق اليسوعي هنري لامانس وهو بلجيكي لكنه

---

(1) Ibid.

(2) Gabrile, Muhammad, p. 62.

(3) Ibid.p. 82. ناجي: عبد الجبار "حوار مع موضوع الاستشراق وعلاقته بالتبشير" مجلة دراسات إسلامية، بيت الحكمة عدد ٢٠٠١، ٧، ص٥٤

فرنسي في الثقافة عن الرسول في كتابه (الإسلام العقيدة والمؤسسات الإدارية) ولم يترجم إلى العربية. وألّف هنري ماسيه H.Masse كتاباً عاما بعنوان (الإسلام) خصّص فيه موضوعاً عن السيرة النبوية الشريفة، وقد ترجم إلى العربية عام ١٩٦٠. وأسهم المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسنيون Massignon ببحث عن المدينة وركّز فيه على الرسول الكريم ودوره الديني والسياسي في يثرب والبحث لم يترجم. وألّف المستشرق الفرنسي رجيه بلاشير Regis Blaochere كتاباً بعنوان (إشكالية محمد)[١] La Probleme de Mahomet والدراسة لم تترجم. أما المستشرق كلود كاهين فقد خصّص مجالاً في دراسته المترجمة عام ١٩٧٢ عن (تاريخ العرب والشعوب الإسلامية) لحياة النبي، وألّف درمنجهام كتاباً بعنوان (حياة محمد).

وفي بريطانيا خصّص كارليل الأسكتلندي فصلاً عن النبي في كتابه (الأبطال) الذي ترجم إلى العربية عام ١٩٦٠. وكتب المستشرق المبشر البريطاني (بوزورث سمث Bosworth, R. Smith) كتابا بعنوان (محمد والمحمدية Mohammed and Mohammedanism)[٢] وهو منهجي مساعدMaster في مدرسة هارّو Harrow School للتبشير. وطبع في سنة١٨٧٤ في لندن، وأعيد طبعه في. نيويورك سنة١٨٧٥. وأصدر المستشرق المبشر ستوبرت J.W.H.Stobart كتابا بعنوان (الإسلام ومؤسسه Islam and its Founder) وطبع في لندن سنة ١٨٧٦[٣]. وصنّف المستشرق ـ الذي من المعتقد أنه كان بريطانيا ـ ماركوس دودس Marcus Dods كتابا عنوانه (محمد وبوذا والمسيح Mohammed,Buddha and Christ وطبع في لندن بطبعتين الثانية في سنة١٨٧٨[٤]. وألّف المستشرق الأسكتلندي الآخر وليم موير Muir كتاباً بعنوان (حياة محمد) اعتماداً على المصادر الأساس وهو لم يترجم. وصنّف المستشرق المبشرآرثر ستانليDean Arthur P.Stanley) كتابا عنوانه (المحمدية وعلاقاتها مع الكنيسة الشرقية Mahometanism and

---

(١) كارليل: توماس: الأبطال وعبادة الأبطال (ترجمة محمد السباعي) القاهرة ١٩٦١، ص ١٨٠-١٨١.

(2) Watt, Muhammad Prophet, p. 231.

(3) Ibid.

(٤) بودلي: حياة محمد (ترجمة محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة (دار الكتاب العربي) ص٦٤.

(its relations to Eastern Church) وطبع في (لندن ونيويورك سنة١٨٦٢)[1]. وقد وقف بصورة مفصلة عند الرسول. وألّف نيكلسون كتاباً بعنوان (حياة محمد) ولم يترجم. وألّف بودلي كتاباً بعنوان (حياة محمد) وقد ترجم إلى العربية (دار الكتاب العربي). وألف السير هاملتون جب كتاباً بعنوان (المحمدية) تناول فيه سيرة الرسول الكريم. وألّف وولش ستيورات كتاباً بعنوان (محمد والرسل الذين جاءوا قبله) وهو لم يترجم، وكتب المستشرق جيمس روبنسون كتاباً عن الكتاب المقدس والرسول وهو لم يترجم. وكتب المستشرق ولسون تومبسون كتاباً بعنوان (حياة النبي محمد) والكتاب لم يترجم[2]. وألف المستشرق آرنولد جنسين كتاباً بعنوان (محمد) ولم يترجم. وألّف المستشرق ترتون كتاباً بعنوان (الإسلام) خصّص فيه فصلاً عن النبي. وألّف مونتغمري وات عدّة مؤلفات تحمل اسم النبي محمد وهي (محمد في مكة) و (محمد في المدينة) و (محمد النبي ورجل الدولة). وألّف جونز آرجر كتاباً عن (حياة محمد). وألّف مرغليوث كتاباً بعنوان (محمد وظهور الإسلام) ولم يترجم. وله كتاب آخر يحمل عنوان (التطور المبكر للمحمدية ـ ويقصد الإسلام ـ The early development of Muammedanism). وألّف ستانلي لينبول وهو مستشرق بريطاني مشهور بدراساته Stanley Lane--Poole كتابا بعنوان (خطب النبي محمد وحديثه اليومي Speeches and Table Tal; of the P rophet Mohammad). كما كتب المستشرق مينولو ريفز Minou Reeves كتابا يحمل عنوان (محمد في أوربا: ألف سنة من صناعة الميثولوجيا الغربية Muhammad in Europe: A Thousand Years of Western Myth-Making).

وفي ألمانيا ألّف المستشرق ثيودور نولدكه كتاباً بعنوان (تاريخ القرآن) وهو مترجم وقد خصّص جزءاً من كتابه عن حياة الرسول الكريم. وللمستشرق نولدكه بحث مسهب بعنوان (محمد والإسلام) (Muhammed und der Islam) ونشره في دائرة المعارف الدينية الجزء ١٨ لسنة١٨٦٤ص٧٦٧-٨٢٠ .Herzog,s Real Encyclopedia وألّف المستشرق الألماني هارتفج هرشفيلد Hartwig Hirschfeld كتابا بعنوان (العناصر اليهودية في

---

(1) Irving, Washington: Life of Mahomet, (New York 1944) p. 231.

الترجمة العربية ص ٢٩١، / ناجي: د. عبد الجبار: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي (منشورات الموسوعة الصغيرة، بغداد ١٩٨١) ص ٨٦.

(2) See Irving, op, cit p.2, Irving Pierre, M: The life and Letters of Washington irving (butnam 1836) p. 299.

القرآن (Judische Elemente im Koran) وطبع في برلين سنة١٨٧٨. وصنّف المستشرق الألماني دولّنجبر .Dollingber, R.C كتابا حول موضوع (دين محمد وسيرته وحياته Muhammed, s Religion nach Ihrer innern Entwicklung u. ihrem Einfluss auf das leben der Volker) وطبع في سنة ١٨٣٨ في .Regensb وكتب المستشرق المشهور فلهاوزن Wellhausen بحثا مفصلا بعنوان (محمد) وهو منشور في دائرة المعارف البريطانية ٩ th ed. Volume XVI.P.545-565). وهذه المؤلفات لم تترجم الى العربية.

وألف المستشرق الدانمركي بهل Buhl كتاباً بعنوان (حياة محمد) ولم يترجم وألّف المستشرق شبرنجر كتاباً بعنوان (حياة محمد) بالألمانية ولم يترجم. وكتب (هونرباخ) كتاباً بعنوان (حياة محمد) ولم يترجم إلى العربية كذلك خصّص المستشرق الألماني شاخت بحثين عن رسول الله والقرآن الكريم ولم يترجما. وكتب بيكر كتاباً عاما بعنوان (دراسات إسلامية) بدأ فيه الحديث عن السيرة النبوية الشريفة ولم يترجم. وألف هيروفتش كتاباً بعنوان (الوحي والقرآن) تطرّق فيه إلى السيرة النبوية، وألّف المستشرق الألماني المشهور فايل كتاباً بعنوان (حياة محمد) ولم يترجم. وهناك مساهمات إما دانمركية أو هولندية منها كتاب جيروك C.F.Gerock، وعنوان كتابه عن الأثر المسيحي في القرآن (Versuch einer Darstellung der Christologie des Koran) وطبع في هامبورغ - جوثاGotha في سنة ١٨٣٩. وألّف آبراهام جيجه Abraham Geiger كتابا بعنوان (محمد واليهودية Was hat Mohammed au dem Judenthum aufgen omen؟) وطبع في بون Bon سنة ١٨٣٢

وهناك عدّة دراسات ألّفها مستشرقون في أمريكا، وكذلك نسجل ملاحظة وهي أن أغلبها قد صنّف ونشر في حوالى منتصف القرن التاسع عشر وهي المدة التي نشطت فيها البعثات التبشيرية في الشرق الأوسط كالذي وقفنا عليه مفصلا في فصل سابق. ومنها كتاب واشنجتون أرفنج بعنوان (حياة محمد) وقد ترجم إلى العربية عام ١٩٦١. ويجدر التنويه الى أن أرفنج لم يكن مبشّرا ولكنه قد تأثر كثيرا بالمستشرقين المبشرين البريطانيين من أمثال بريدو وأوكلي وغيرهما. وألف آرثر جيفري كتاباً بعنوان (محمد) ولم يترجم. وألف كالفيرلي كتاباً بعنوان (محمد) ولم يترجم. وألّف جورج بوش كتابا بعنوان (حياة محمد) ولم يترجم الى العربية. وألّف الأب هنري جسوب Henry H.Jessup وكان يعمل في البعثة التبشيرية في بيروت كتابا بعنوان تبشيري هو (مشكلة البعثة المحمدية Mohammedan Missionary Problem) وطبع في

فيلادلفيا سنة ١٨٧٩. وألّف المستشرق المبشر أيكين Ch.A.Aiken كتابا في هذا الجانب التبشيري بعنوان (المحمدية دين تبشيري Mohammadanism as a Missionary Relegion ونشره في مجلة معنية بالفهرسة Bibiotheca Sacia of Andover.for 1879) P.151 وألّف الأب صموئيل زويمر كتاباً عن (أمية محمد) ولم يترجم. وكتب المستشرق بول ماكدونالد كتاباً بعنوان (الوحي عند المسلمين) وفيه فصل عن السيرة النبوية ولم يترجم، وهو مستشرق بريطاني إسكتلندي الأصل ثم رحل الى أمريكا وأقام بها وتوفي فيها سنة ١٩٤٣، وله الفضل في إصدار (مجلة العالم الإسلامي) بالتعاون مع زويمر ومجلة JSIS مجلة جمعية العلوم الإسلامية بالتعاون مع صموئيل سارتون. ويعدّ من المستشرقين إذ تأثر بالتفسيرات التبشرية ولاسيما بآراء زويمر. وألّف المستشرق (ري) S.Ray كتاباً بعنوان (حياة محمد) والملاحظ أن جميع هذه المؤلفات الأمريكية لم تترجم إلى اللغة العربية ما عدا كتاب أرفنج (حياة محمد) ترجمه الدكتور علي حسني الخربوطلي.

واتجه المستشرقون في هولندا للكتابة عن حياة الرسول وسيرته، فألف المستشرق سنوك هورونجيه كتاباً لم يترجم بعنوان (محمد)، كما ألف المستشرق المشهور فنسنك كتاباً لم يترجم أيضاً بعنوان (محمد وتعاليمه).

فضلاً عن إسهامات أخرى ألّفت في إيطاليا وأسبانيا وروسيا والإتحاد السوفيتي وجيكوسلفكيا ويوغسلافيا، فقد ألّف المستشرق اليوغسلافي سيرجي تركوفتش Serdje Trifkovic كتابا بعنوان (سيف النبي: الإسلام والتاريخ والفقه يؤثّر أو (يصطدم) في العالم وإسرائيل. وهناك مساهمات عدّة من المستشرقين الإسرائيليين في موضوع السيرة النبوية منها ما قدّمه المستشرق يوري روبين Uri Rubin من دراسات منها:- كتابه الموسوم بـ(نظرة ملاحظ: حياة محمد كما صوّرها المسلمون الأوائل The eye of beholder: The life of Muhammad as Viewed by Early Muslims (a Textual analysis). The Darwin Press Princeton, New Jersey 1995.. ودراسته الأخرى بعنوان (محمد، النبي والجزيرة العربية Muhammad the Prophet and Arabia).Variourm Collected Studies Series. Ashgate. ودراسته الثالثة الموسومة بـ (تحقيق ومقدة:- حياة محمد ـ تشكيل العالم الإسلامي الكلاسيكي (Ed. And Ientroduction;The life of Muhammad (The formation of the Classical Islamic World.Volume 4.Aldershot 1998. وغيرها من البلدان.

تؤكد هذه الدراسات الكثيرة التي ألفها المستشرقون من القرنين التاسع عشر والعشرين مدى الاهتمام بشخصية الرسول وإبراز عظمته وعظمة الرسالة السماوية التي أخذت تحتّل حيّزاً واسعاً في الآفاق، حتى أن مركز الدراسات الإستراتيجية CSIS في واشنطن أصدر عدداً من الدراسات المتعلقة بالإسلام نظير (الإسلام الدين الثاني في أوربا) و (الإسلام في روسيا) و (الإسلام في الولايات المتحدة) و (الإسلام والغرب) وعقد المركز عدة ندوات عن الإسلام آخرها بعنوان (الإسلام والتحديث والديمقراطية) إذ ناقش أكثر من ثلاثين أستاذاً باختصاصات مختلفة هل الإسلام يتعارض مع التحديث والديمقراطية ؟.

الدراسة السابقة تذكرنا بالأطروحة التي بدأنا بها هذا البحث عن عودة الغرب وأمريكا الى النظرة السياسية إلى الإسلام وهي نظرة مستوحاة من الجذر التاريخي لسيرة الرسول وإنجازاته الرائعة في تحقيق دولة مركزية تستند إلى مؤسسات إدارية مالية ثابتة ومنظمة، كذلك النجاح المذهل في تحقيق حضارة إسلامية إنسانية أثرت تأثيراً كبيراً في العالم المجاور ولاسيما أوربا الوسطى التي كانت آنذاك في العصور الوسطى تعيش حال من الركود والتخلف.ولست مستغرباً أن يسترجع الغرب وأمريكا ـ وأقصد المستشرقين والكتّاب والمنظرّين ـ هذه الظاهرة لإعلان الضدّ منها بنعت الإسلام بالإرهاب.

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة فقد تمّ تأليف عدد من الدراسات من مستشرقين أمريكيين. والذي يستحق الذكر في هذه المسألة القول بأن الإستشراق الأمريكي يعدّ استشراقاً متأخراً موازنة بالمدارس الإستشراقية الأوربية كالهولندية والألمانية والفرنسية والإيطالية والبريطانية. فلم تكن الولايات المتحدة آنذاك منشغلة بجغرافية عبر القارات غير أن عوامل كثيرة تبلورت في القرن العشرين من أهمها العوامل الإستراتيجية وظهور النفط كل هذا قد شجع الساسة في هذه البلاد على أن يلتفتوا نحو الشرق و تأسيس مراكز للدراسات الشرقية. وكانت أوربا الوسطى البلاد التي قدمت إسهاما فاعلاً بانتقال مستشرقين بارزين للعمل في تأسيس هذه التوجهات البحثية. واللافت للنظر أن إرهاصات ذلك قد ارتبط بمؤسسات تجارية يمكنها دعم هذه الأبحاث من دون حدود نظير مؤسسة روكفللر وفورد وكارنيك. أن ذلك لا يدعونا الى إغفال الدور الذي أدته المؤسسات والبعثات التبشيرية التي جهدت في العمل في رقعة جغرافية واسعة من الشرق الأوسط في شمال العراق والموصل والبصرة وبلدان

الخليج العربي والجزيرة العربية واليمن وبلاد الشام وغيرها من البلدان. فكان من أهم النتائج أن تأسست أول جمعية للاستشراق في أمريكا في حقبة متقدمة في سنة ١٨٤٢م وبعد عدة سنوات من ذلك أصدرت الجمعية مجلة JAOS (مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية). فمن المستشرقين الأمريكيين الذين عنوا بدراسات السيرة النبوية والحضارة الإسلامية واشنجتن أرفنج W,Irving ـ المذكور آنفا ـ المتوفى سنة ١٧٨٣، وكان بعيداً عن موضوع الإستشراق بل عن الدراسات العربية الإسلامية، إذ اشتهر بأنه أديب وكاتب قصص فضلاً عن أنه حقوقي. غير أنه عندما قام بزيارات إلى أوربا وعمله في السلك الدبلوماسي في أسبانيا بدأ يهتم بالدراسات الشرقية عامة والإسلامية خاصة فألف مجموعة من الكتب في هذا الميدان منها فتح غرناطة The Gonquest of Grenada وفتح أسبانيا The Conquest of Spain والحمراء The al hmara وكتابه المعروف حياة محمد Life of Mahomet وقد تأثر في كتابه هذا بالمستشرقين الأوربيين المعاصرين أمثال بريدووكارليل وفايل وأوكلي وبوكوك. وألّف جورج بوش G.Bush كتاباً عن الرسول أيضاً بعنوان (حياة محمد Life of Mahomet). وجورج بوش رجل دين سعى إلى الوصول إلى نتائج تبشيرية فاعتمد في الأساس على كتاب المستشرق المبشّر البريطاني همفري بريدو الذي سبق الإشارة الى أنه قد اختار عنواناً هادفاً وحاقدا لكتابه وهو The true nature of imposter fully displayed in the life of Mahomet (الطبيعة الحقيقية للدجّال كما عرضت بشكل كامل في حياة محمد).

وألف جفري آرثر A.Jeffery ذو الميول التبشيرية كتابين عن الرسول الأول (تاريخ محمد) سنة ١٩٢٦ والثاني (نبي الإسلام) عام ١٩٣٨. وجفري هو الآخر تأثر كثيراً بمستشرقين بريطانيين أمثال بريدو ومارغليوث Margliouth الذي ألف كتابين (التطور المبكر للمحمدية) وكتاب (المحمدية).

كما ألّف المستشرق كالفري أدوين Calveley كتاباً عن سيرة الرسول وهو الموسوم بـ (محمد Mohamet) سنة ١٩٣٦، وهو الآخر مبشّر ومتأثر بالمدرسة البريطانية وبكتاب همفري بريدو أيضا. فضلا عن تأثره بآراء وكتابات المبشر الأمريكي زويمر. وألّف ولفريد كانتويل سمث W.C.Smith كتاباً بعنوان (عظمة محمد) وكتابه الآخر (الأحمدية) مسلّطاً الضوء على الأثر اليهودي والنصراني في الإسلام وفي المعتقدات التي بشّر بها رسول الله.

والّف برافمان Bravman وهو أستاذ اللغات الشرقية كتاباً عن الرسول بعنوان (محمد Mahamet) 1975، وعلينا أن لا نغفل كتاب المبشر الأمريكي الناشطS.Zewemer (الجزيرة العربية مهد الإسلام) Arabia the Cradle of Islam 1990، وله مؤلفات أخر جميعها تهدف الى أفكار تبشيرية منها كتابه (أمية محمد)، وكتب المستشرق المبشّر ماكدونالد كتاباً بعنوان (الوحي عند المسلمين) وخصص فيه فصلاً عن السيرة النبوية.

ولم تتوقف النشاطات في أمريكا وغيرها من الدول الأوربية في الكتابة عن حياة رسول الله. فألف روبرت سبنسر Robert Spencer كتابا بعنوان (الحقيقة حول محمد: موجد أو مؤسس دين من أكثر الأديان تعصّبا في العالم The Truth about Muhammad: Founder of the World,s most Intolerant Religion). والعنوان واضح في نهجه التبشيري أيضا. وألف كيرن آرمسترونغ Karen Armstrongكتابين عن الرسول، أولهما بعنوان (محمد: حياة أو سيرة النبي Muhammad: Abiography of the Prophet). والكتاب الآخر بعنوان (محمد: نبي لعصرنا الحاضر Muhammad: A Prophet for Our Time(Eminent Lives). وألف مارتن لنجز Martin Lings كتابا بعنوان (محمد: حياته أستنادا على المصادر الأولية .Muhammad: His Life Based on the Earliest Sources والمناسب ذكره أن المؤلف وضع في أعلى العنوان في أعلى اسم محمد (صلى الله عليه وسلّم). وصنّف المستشرق الآخر بيترز F.E.Peters كتابا بعنوان (محمد وأصول الإسلام Muhammad and the Origins of Islam)، ونشر في سلسلة Suny لدراسات الشرق الأدنى). ودرسغبرييل مارك في كتاب له بعنوان(يسوع ومحمد: اختلافات عميقة ومشابهات مذهلة Jesus and Muhammad: Profound Differences and Surprising Similarities). وألف ريتشارد هنري دروموند كتابا بعنوان (الإسلام للعقلية الغربية: تفهم محمد والقرآن Islam for the Western Mind: Understanding Muhammad and Koran). وألّف ثوماس كليري Thomas Cleary كتابا بعنوان (حكمة النبي Wisdom of the Prophet). وهناك دراسة للمستشرقة بيتي كيلين Betty Kelen عنوانها (محمد رسول الله .Muhammad: The Messenger of God وألّف المستشرق غودفري هيغّنز Godfrey Higgins كتابا بعنوان (دفاع بشأن سيرة وشخصية نبي الجزيرة العربية الشهير الذي يسمى محمد أو اللامع والشهير An Apology for the Life and Character of the Celebrated Prophet of Arabia Called Mohamed or the Illustrious. وكتب المستشرق غوردن درنيل Gordon Darnell كتابا بعنوان (إنتاج أو صنع آخر نبي: إعادة بناء سيرة

محمد المبكرة جدا The making of the last Prophet: A Reconstruction of the Earliest Biography of Muhammad). وألّف المستشرق برنابي روجرسون Barnaby Rogerson كتابا بعنوان (خلفاء محمد: القرن الإسلامي الأول والأصول السنية The heirs of Muhammad: Islam,s first century and the origins of the Sunni. وصنّف المستشرق بريت مارتنغ ستورترووين Brett M.Stortroen كتابا بعنوان (مكّه ومحمد: التوثيق أو الدعم الوثائقي اليهودي ـ المسيحي للعقيدة الإسلامية Mecca and Muhammad: A Judaic Christian Documentation of the Islamic. Faith) ألف المستشرق مارك هيوبند Mark Huband كتابا بعنوان (مقاتلو محمد: النضال من أجل الإسلام Warriors of the Islam: The Struggle for Islam). وحقّق الباحث ديفيد نوئيل فريدمان David Noel Freedman كتابا يضمّ بحوثا متنوعة وعديدة بعنوان (أنهار جنّة موسى وبوذا وكونفوشيوس وعيسى ومحمد كمنشئي الأديان
The Rivers of Paradise: Moses, Buddha, Confucius, Jesus, and Muhammad as Religious Founders).

وفي كندا كتب المستشرق تودّ لاوسون B.Todd Lawson البروفسور في قسم الحضارات الشرق ـ أوسطية في جامعة تورنتو Toronto-Canda بحثا نشر في شهر شباط من سنة ٢٠١١ في مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية J. Of the American Oriental Society بعنوان (بيلوغرافيا عن الله ومحمد والكفّار: - دراسة قرآنية Bibliography for God, Muhammad and the Unbelievers. A Quranic Study).